احتمالات الضوء

ليث الصندوق

I - الاختبار:

- ١ -

في اليوم الأولْ
ذهبتْ شمسٌ ناضجةُ الخدينِ إلى الدرسِ
وتعلمتِ الحكمةَ
والانشاءَ.

- ٢ -

في اليوم الثاني
حملتْ دَفترَها
وكطفلٍ نَثَرَ ما جَمَّعَ من «نقدٍ»
شُغِلَتْ عن واجبها
في حَلِّ تمارين الأشواق
حضنتْ منضدةً من خشب
وغفتْ طولَ الليلِ على الأوراقْ

- ٣ -

في اليومِ الثالثْ
كانتْ تتباهى بعلومٍ
وتُرَدِّدُ ما تحفظُ من أسماءْ
واختبرتْ ما درستْ
لكن رسبت في درسِ الحَرِّ
ودرسِ الأضواءِ.

II - احتمالات المفاجأة:

كان السابحُ، وهو يقارعُ غفلتَهُ
يتقدّمُ ما بين الخوفِ
وبينَ الدهشة...
يتشبّثُ بالجذعِ،
ويعاندُ سكتتَهُ
دعوتهُ للكفرِ

* * *

كان عنيداً
كمويجاتٍ مالحةٍ
وقوياً كالجسرِ
وكذلكَ كانَ هلوعاً
تتقدّمُ أمواجٌ بين يديهِ، فيسحبها
وتطيش رصاصاتُ البردِ على عينيهِ
فيداجي غفلتها
وتغنّيهِ الأصدافُ، فيصغي
ويردد - إذ تسكت - عنها لحناً

* * *

لكن كيفَ يحسُّ،
وقد انهدَّ جدار
غامرتِ الموجة في الرقص
ضلّلتِ الأسماكْ
وتبقّى من أثرِ الدارِ
بُعيدَ الحرقِ، هشيمٌ

* * *

كيفَ يحسُّ السابحُ
حين تداهمه الأمواج؟
هل يمضي؟
أم يسحبُ فروته، وينام.

* * *

كانت أمواجٌ
تتلاطم مثل لهيب
تدّافعُ في اليمّ
وتسمو صعداً
تضربُ نجمَ الليلِ بقبضتها
تسلخُ جلدَ الريح
تلوي الأخشابَ حوالَ الأخشاب
وهنالك كانت قدمٌ زالقةٌ
ويدٌ...
تتفرّق عن كوم عظامٍ
واضالع تنفضُ كزهرة
ويظلُّ سؤال
أغرب من أجوبةِ الصمت
كيفَ يحسُّ السابحُ
حين تداهمه الأمواج؟

III - محاكمة الضوء:

من علّمَ الضوءَ على الضياع
سراطُهُ كانَ الهدى
وخفُّهُ...
لمّا يهرّئهُ الحصى
تفتّحتْ زهرتُهُ في دمنا
وامتضغتْ من عيننا الدموع

* * *

من أجبرَ الضوء على الهوان
وهو الذي حرّضنا
دوماً على السموِّ، والصعود

أو خَفَضَ القمة
كي نبلغَها
ونرتوي من كلِ ما في زيتها
من رغبةٍ في الحرقِ، والقتال

★ ★ ★

من عَوَّدَ الضوءَ على الفضيحة
وهو الذي يمنحُ ما نخفي
صمودَ الحجرة
فثبَّتَتْ قلوبُنا في نارِهِ سندانَها
وضاعفتْ توالدَ الشرار
وهوّمتْ كالسحبِ البيضاءْ
إنفجَرَتْ
مثلَ فقاقيعَ من الهواءْ.

IV - بين طيات الوردة:

= مدخل إلى القصيدة =

سأقطفُ وردة
واتركها تحت ثوبي
تنعمُ ليلاً بدفءِ الفؤاد

★ ★ ★

وتغفو...
فتسرب عبرَ الندى... والتويجِ
خطوطُ الضياء
وتعبر نحوي
خارقة ما ينوء
على الصدرِ من حجرٍ
وعقيق.

= القصيدة =

- ١ -

قطفتُ من الليل زهرة
ودرّعتها بالعظام
فكانت تفيقُ
فتألف سرباً من الطيرِ
يرقصُ...
محترقَ الأجنحة
فتوميءُ عبرَ الغيوم
تحمّلها كلَ ثقلِ الضياء
وكلَ ارتدادِ الصدى

- ٢ -

قطفتُ من الفجرِ زهرة
وأيقظت من غفلةِ الموتِ أطيابها
فكانت تريحُ على القلبِ منّي تويجتها
وتطلق أسرابها في فضائي
تُسرُّ بأذني
أحلى الكلام

- ٣ -

قطفتُ من النارِ زهرة
فكانت تمدُّ يدي
بنقيِّ الدماء
وبينَ جفوني تشبُّ الحرائق
فأعجبُ...
من أيِّ نبعٍ غرفنا
أنا النارُ..؟
أم آنَّ وريقاتها من رماد؟
أم آنَّ منابعنا
غيرَ ما يعتري زرعنا من يباس
وغير احتراقِ
توالدُ في الجذرِ
وامتدَّ كي ما يمسّ الغصون

= خاتمة =

لكلِ الزهور التي أتخيّرُ رفقتها
حملتُ فؤادي
وعصّرتُ ما في تجاويفِهِ من دماء
وبالرغم من نزفِهِ
كان ينفخُ جمرَ الشروق
وكانت لمن لا يكابدُ حرَّ الهوى
كل تلك الحروق.

V - جناحان:

جناحان كَلاّ من الطيران
ومافتئآ في المدى يخفقان
يردّان فوقَ الجبالِ ثياباً من الظلِّ
منقوعةً بالندى...
والغبارْ.
وفي الفجرِ ينغمسان
يذوبانِ في الشمسِ ذوبَ الشموع

★ ★ ★

جناحان من آخرِ الأرض هبّا
وحطّا على بيتنا كالغمام
يعين شظايا الشموس على الالتحام
يقمّطها مثل طفلٍ رضيعٍ
ويأخذها بينَ كفٍ، وصدرٍ
يهدهدها كي تنام.

★ ★ ★

جناحانِ حول المدى باقيان
كظلٍّ برغمِ تشبّثِهِ بخطانا
يظلُّ غريباً
تغيب على عتبةِ الفجرِ شمسٌ
وهيهات أن يَحي...
أو يغيبا.

بغداد

مؤلفـــات
د . نوال السعداوي

- امراتان في امراة
- موت الرجل آلوحيد على الارض
- امراة عند نقطة الصفر

قريبـــاً

- اغنية الاطفال الدائرية

منشورات دار الآداب